المقدمـة

لم يأتِ هذا الكتاب عفوَ الخاطر، وإنّما جاء نتيجة قدرٍ كبيرٍ من البحث والتجربة، وهو -إلى جانب كتاب "أزمة العقل المسلم"- محاولة لفهم الأسباب التي حالت حتى اليوم دون نجاح مشروع الإصلاح الحضاري الإسلامي، وإحداث التغيير المطلوب في الأمة، على الرغم من مرور أكثر من تسعة قرون على صيحة أبي حامد الغزالي في "تهافت الفلاسفة" و"إحياء علوم الدين"، وعلى الرغم من مضي أكثر من قرن على رؤية الكواكبي في سمو مبادئ الإسلام ومقاصده وغاياته وقيمه في كتابه الشهير "أم القرى"، وصيحة اتهامه وغضبه على "أصل الداء وأُسِّ البلاء" في كتابه الأشهر "طبائع الاستبداد"، ومع ذلك فلا حلمٌ تحقق، ولا جورٌ تبدد حتى اليوم.

يوضح هذا البحث أنه ما زال هناك بعدٌ غائبٌ في مشروع الإصلاح الإسلامي، لا يمكن للمشروع الحضاري -من دونه- إحداث التغيير المطلوب الذي يفجر طاقة الأمة ويحرك كوامن طاقتها الوجدانية فيها، وهذا البعد هو الطفل الذي يمثل البذرة التي تحدد نوع الشجرة وطعم الثمرة.

هذا الكتاب، محاولة لفهم غياب الجانب النفسي الوجداني في الخطاب التربوي الإسلامي للطفل؛ ليكون هذا الفهم أساساً لإرساء طاقات المبادرة والإبداع في البناء النفسي والوجداني. وهو أيضاً محاولـةٌ لمعرفة الأبعاد الثقافية والفكرية التي أحدثت هذا التشوّه والغياب. ولمعرفة المفاهيم

والمنطلقات التي تمكّن الأمة من استكمال هذا النقص. إنّ استعادةَ هذا العامل أمرٌ ضروري في عملية التغيير الاجتماعي والحضاري، على طريق استعادة الوحدة بين المعرفي والنفسي الوجداني في بناء نفسية الطفل، وتمكين طاقات المبادرة والروح العلمية والإبداع في أصل طبع طفولة الإنسان المسلم وتكوينه النفسي والوجداني.

ولتحقيق هذا الهدف يوضِّح الكتاب الأدوات المنهجية والثقافية اللازمة للإصلاح التربوي، ويستجلي أهم أسس هذا الإصلاح ومنطلقاته، ويلفت النظر إلى مؤسسة الأسرة ودورها المحوري الفطري في تحقيق الإصلاح التربوي والتغيير الاجتماعي والحضاري، مما يجعل الأسرة"سيناء"[1] هذا العصر، شريطة أن يقوم المفكرون والتربويون وبقية مؤسسات المجتمع التربوية بدورهم في توعيتها وإمدادها بالأدبيات اللازمة، وأن يضعوا المبادرة لإرساء أسس التغيير في يد الأمة وفي يد أبنائها من الرجال والنساء، وذلك بالتوجّه إلى ما جُبل عليه الأبوان من دوافع الأبوة والأمومة الفطرية المكرَّسة لجلب ما فيه خير الأبناء وتحقيق مصلحتهم الروحية والمادية التي هي أساس بناء الأمة القادرة العزيزة الكريمة.

ولا بدّ من التعامل الجاد مع الأزمات الثلاث؛ أزمة العقل والمنهج، وأزمة الفكر والثقافة، وأزمة الوجدان والتربية، ولا سبيل من غير ذلك إلى تحقيق قدرة الأمة على إطلاق طاقاتها، وتجديد بنائها، وبلوغ غاياتها السامية،

(١) إشارة إلى دور الجانب التربوي لإعادة تربية وتأهيل بني إسرائيل على يد سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في تيه "سيناء" كما نص على ذلك القرآن الكريم.

وعلى أساسٍ من التوازن بين السياسي والفكري والتربوي في جهود حركات الإصلاح؛ بهدف تحقيق القدرة، وتحرير نفسية المسلم، وتفعيل وجدانه.

إن المسؤولين عن هذا الأمر هم المفكرون والمربون، وإن المفتاح الأهم لحركة التغيير السلمي الوجداني هو الدافع الفطري في قلوب الآباء والأمهات في حرصهم التلقائي الذي لا يدّخر شيئاً لتحقيق ما فيه مصلحة أبنائهم، وهم عدة الغد، ومادة المجتمع، وجيل المستقبل.

إنني أرجو أن يفتح هذا الكتاب باب حوارٍ جادٍ بنّاءٍ، يتسم بروح الإخلاص والشجاعة، دونما خوف من جهالة الجهلاء ومزايدات أصحاب الأغراض والأمراض، والنظر في أعماق كيان الأمة الفكري والثقافي والتربوي؛ ليتعرف مفكرو الأمة وعقلاؤها على مكامن الداء فيها، ويبصّروا أبناءها وقياداتها بحقيقة أدواء النفوس، وتشوهات الفكر، وانحراف الممارسات، ويستكملوا للأمة رسم معالم المنهج العلمي الفكري التربوي الصحيح الذي يضع القدرة والمبادرة في يد أبنائها ومفكريها ومثقفيها، واعتماد مكامن طاقة الفطرة والعطاء والبذل في نفوسهم أساساً لانطلاقتها.

هذه هي رسالة الكتاب، وهذه هي الغاية الأسمى لما طُرِحَ فيه من القضايا والتأملات، رجاء أن يسهم -ولو بقدر ضئيل- في إدارة الحوار واستكمال أدوات نجاح مشروع الإصلاح الحضاري الإسلامي الذي طال انتظاره، وتعاظمت -مع مظالم العولمة المادية واستكبارها- حاجة العالمية الإنسانية إليه.

واللهَ أسأل أن يوفق الأمة، وأن يوفق المفكرين والعاملين، وأن يشد أزرهم، وأن يهدينا وإياهم إلى الصراط المستقيم، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير.

والعاقبـة للمتقين والحمد لله رب العالمين

obeikan.com